الورقة العلمية للمشاركة في الملتقى الوطني

" الكرامة الإنسانية آفاق و تحديات "

المنظم من طرف كلية الحقوق و العلوم السياسية لجامعة عبد الرحمان ميرة بجاية

يوم 26 سبتمبر 2024م

عنوان الورقة العلمية: مقصد حفظ الكرامة الإنسانية في الشريعة الاسلامية

الدكتورة : لطيفة بن سعيد

benlatifa9@gmail.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

مقدمة

يشكل الانسان على مر التاريخ و العصور محور اهتمام التشريعات سماوية كانت أم وضعية حيث وضعت القوانين و التشريعات الناظمة لحياته ككائن فرد داخل مجتمعات إنسانية؛ تضبط و تنظم علاقاته، و تُحكم تصرفاته و ما يكتنفها من رشد أو سفه تجاه نفسه و تجاه إخوانه و تتجاه المؤسسات التي تشكل الحاضنة الاجتماعية التي ينتمي إليها، و الغاية من كل ذلك هي حماية هذا الانسان من نفسه عندما يستولي عليها الظلم و الطغيان .

إن أهم ما يجب حمايته فضلا عن حماية وجوده المادي هو وجوده المعنوي و الروحي لأنه أصل انتظام حياته و أمنه و استقراره، و لذلك اهتم الدين الاسلامي اهتماما بالغا بهذا الجانب من الانسان إذ هو أساس قوته و باعث فعاليته، و أصل الإنسانية فيه ،و لذلك فإن إهمال هذا الجانب هو مدعاة لاستذلاله و ابتذاله الذي هو طريق الهلاك و التلف المعنوي يقضي على وجوده كإنسان ذو قيمة و على فاعليته في الحياة حتى و إن كان موجود جسدا.

من هنا خصصت هذه الورقة العلمية لدراسة مقصد حفظ كرامة الانسان في الشريعة الاسلامية، أجيب من خلاله على أسئلة مهمة:

ما هي مقومات الانسانية في الشريعة الاسلامية؟.

ماذا نقصد بحفظ كرامة الانسان في الشريعة الاسلامية؟

ما أهمية عَدُّ حفظ كرامة الانسان مقصدا من مقاصد الشريعة الاسلامية؟

ما هي الاجراءات العملية التي تحفظ كرامة الانسان في الشريعة الاسلامية؟

و أهدف من خلال هذا البحث إلى إبراز تميّز الشريعة الاسلامية في حفظ كرامة الانسان بما يحقق للإنسان وجودا كريما آمنا و فاعلا في هذه الحياة ، و أنها بحفظ كرامته تحفظ مصالحه في مستويات عدة روحية و مادية، فردية و اجتماعية و انسانية.

أولا : مقومات الانسانية: إذا كانت الإنسانية تعني : «خلاف البهيمية. و الانسانية جملة الصفات التي تميّز الانسان. أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات» [1] فإن المقصود بمقومات الإنسانية الأسس التي ترتكز عليها الانسانية بوجودها و تحققها تتحقق إنسانية و أي اختلال أو غياب لأحدها يفقد الانسان جزءا من الإنسانية ، و إن فقدها كلها ذهبت إنسانيته.

يمكننا أن نجمل هذه المقومات في أربع عناصر أساسية [2]:

1. فطرة الخلق: خلق الله الإنسان وفق طبيعة خاصة مختلفة تماما عن طبيعة المخلوقات الأخرى؛ثنائة في تركيبها، فقد سواه من قبضة من طين الأرض تُشكل مادته و هيكله الظاهر ﴿ وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾، ونفخة مقدسة من روح الله ﴿ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾ الحجر29، عجيبة في مزج عناصرها؛ إذ جعل تركيب جسمه على هيئة بديعة خاصة به، «و على بناء في نفسه يتقوّم بمجموع من العواطف و الغرائز و الأحاسيس، و على هيئة في عقله تحمل استعدادات يدرك بها حقائق الأشياء، و على علاقة محدّدة بين ذينك العنصرين المادي و النفسي تتكون منها وحدة متفاعلة لا يتوفر عليها أيّ مخلوق آخر»[3] عالية في قيمتها، فجعله بهذا التركيب و التعديل في قواه الظاهرة و الباطنة في أحسن تقويم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ التين4، و إن أي تغيير في هذه الطبيعة ينذر بفساد الفطرة التي تفسد بفسادة إنسانيته.

2. غائية الحياة: يعتبر العيش و الحياة حق للإنسان منحه الله إياه ، و لا يحق لأحد أن يسلبه هذا الحق إذ بحرمانه منه تتلاشى الانسانية و تنتهي.

---

[1] –مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، ط4، مصر: مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ/2004م، ص30.

[2] – أنظر الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تق: حاتم بوسمة، مصر / لبنان :دار الكتاب المصري / اللبناني، 2011، ص 91 و ما بعدها، علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية و مكارمها، ط5، دار الغرب الإسلامي، 1993م، ص235 و ما بعدها، عبد المجيد النجار مقاصد الشريعة الإسلامية بأبعاد جددة،ط 2، دار الغرب الإسلامي، 2008، ص 98 و ما بعدها .

[3] – عبد المديد النجار،المرجع نفسه، ص 87. و أنظر الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م، ج 30، ص424

إنّ وجود الإنسان في هذه الحياة و تحقق إنسانيته فيها لا يكون إلا إذا كان لهذه الحياة غاية بينة واضحة يعيها الإنسان، تكسب وجوده معنى و قيمة، و تجعل لسعيه فيها دافعا قويا و أهدافا حقيقية يتوخى تحقيقها، و تحصن وجوده من أن تعصف به وساوس العبثية و اللاجدوى من الاستمرار فيها، فيؤدي به ذلك إلى وضع حد لحياته لتنتهي مأساة الجدوى في هذه لحياة.

و لهذا جعلت الشريعة الاسلامية من أهم ما يجب أن يؤمن به الإنسان بعد أن يدرك أصل وجوده هو إعتقاده الجازم أنه لم يخلق عبثا ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ سورة المؤمنون115،بل خلق ليعيش في هذه الأرض و يسعى بكل ما منحه الله من مقدارت ذاتية ، و كونية أن يعمرها بالخيرات و يحقق لنفسه و لكل من يحي فيها معه السعادة و الأمن و الإطمئنان و رغد العيش، و هو مسؤول مسؤلية كاملة عن أدائه لهذه المهام التي تحمّلها و التي تنسجم تماما مع فطرته التي خلقه الله عيها، و التي بها يتحقق له التكريم، و يشعر بقيمته و تميزه عن غيرها من مخلوقات الله .

3. الحرية : جاء في تعريفها أنها:«حالة شخص لا يُقْدم على الفعل إلا بعد التفكير فيه سواء كان ذلك الفعل خيرا أو شرا»[1]، أي أنها حالة من التعقل لدى الانسان يوازن فيها بين الأمور التي ينشغل بها الفكر قبل أن يقبل على الفعل سواء كان خيرا أو شرا، أي ينتفي فيها الاندفاع اللاشعوري، وتتحقق فيها المسؤولية الأخلاقية والقانونية[2].

وقيل أيضا:«حالة إنسان **يحقق بفعله ذاته** من جهة ما هي عاقلة وفاضلة»[3]، أي أنها تعبر عن طبيعة الرفعة والسمو الانساني اللذين تتصف بهما الذات، وتنبثق منهما كل أفعالها العاقلة[4].

فهي من أقوى أسباب القوة النفسية، و سلبها من أقوى أسباب ضعفها، فهي الباعث على الابداع في الفكر و القول و العمل، و سلبها هو من أكبر أسباب الانكماش على الذات و القعود عن أي حركة لتعمير الأرض.

فهي من أكبر النعم التي منّ الله بها على الانسان، و فضله بها على كثير من خلقه، تجلى ذلك في الحدث العظيم الذي أعلن الله فيه عن تكريمه بها حين قال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب 72 ففي تحمله لهذه الأمانة ممارسة أو تفعيلا لاختيار الفعل أو الترك بناء على الإرادة الحرة المتوجهة نحو الفعل، و هي التي تقابل المسؤولية الأخلاقية تجاه الأفعال المختار المنجزة و يتحدد بناء عليها الجزاء و العقاب ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدثر 38.

---

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م ،ج1، ص463.

[2]– أنظر: جميل صليبا، المرجع نفسه.

[3] – جميل صليبا، المرجع نفسه.

[4]– أنظر: جميل صليبا، نفسه .

يتعين من ذلك البيان قيمة الحرية كمقوم أساسي من مقومات الانسانية، من حيث تدرك بها الذات قيمتها، وتتأكد قيمة الفعل القاصد المتولد عنها، وتتعمق ضرورة وأصالة المسؤولية المقابلة لهذه الحرية.

4. الكرامة: تعد رابع هذه المقومات التي تدرك بها الذات قيمتها و رفعتها و عزتها، و باعتبارها جوهر موضع الدراسة سأتناولها بشيء من التفصيل حتى يتحقق للبحث مراده.

الكرامة في اللساني العربي من : «كَرَمَ، و الْكَافُ وَالرَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ لَهُ بَابَانِ: أَحَدُهُمَا شَرَفٌ فِي الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ أَوْ شَرَفٌ فِي خُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ"[1]

و جاء في المعجم الوسيط: «كرم الشيء: عزَّ و نَفُسَ»[2]،فالكرامة إذن متعلقة بكل ما هو نفيس و عزيز.

و «العرب تجعل الكريم تابعا لكل شيءٍ نفت عنه فعلا تنوي به الذم»[3].

و في المفردات للراغب: «الكرم إذا وصف به الانسان فهو إسم للأخلاق و الأفعال المحمودة التي تظهر منه، قال بعض العلماء الكرم كالحرية إلا أن الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة و الكبيرة و الكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة كمن ينفق مالا في تجهيز جيش في سبيل الله و تَحَمُّلِ حِمالة تُرْقِيءُ دماء قوم.

و الإكرام و التَّكريم: أن يوصل إلى الانسان إكرامٌ أي نفع لا يلحقه فيه غضاضة، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئا كريما أي شريفا» [4] .

و الكريم من كل قوم : «ما يجمع فضائله»[5]

أما في اللغات الأروبية فقد ظهرت كلمة الكرامة الانسانية حوالي عام 1155م، و هي مشتقة من الاسم اللاتيني 'dignitas'و لها معنيان أساسيان هما: «وظيفة أو حمولة تكسب الانسان مكانة بارزة، و /أو الاحترام و التقدير اللذان يستحقهما شخص ما أو شيء ما.»[6]

---

[1] – أحمد بن فارس ،معجم مقاييس اللغة ط1، تح: عبد السلام هارون، لبنان: دار الجيل، ج5، ص171.

[2] – المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص 784

[3] – إبراهيم بن منظور، لسان العرب، القاهرة : دار المعارف، ص 3863.

[4] – الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، ص428-429

[5] – أيوب بن موسى ، الكليات، تح: دعدنان درويش و محمد المصري،ط2،بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ/1998م، ص772.

[6]- La Dingnité Humaine, La réinsertion socio juridique des démunis, p17 .

نستنتج من هذه المعاني اللغوية للفظة الكرامة أنها ذات حمولة إيجابية متسمة بمعاني الكمال في كل المواضع التي تقع فيها فقد تعلق معناها بكل ما هو عزيز و نفيس و شريف و راق و فاضل و عظيم مما شرّف الله به هذا الإنسان، و هذا ما يفسر لنا اختيار القرآن الكريم لهذه اللفظة تحديدا للتعبير عن قيمة الإنسان﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾الاسراء70، إذ الألفاظ فيه لها دلالتها الخاصة في موضعها لا يدل عليها غيرها من مرادفاتها، أي لا يصلح بدلا عنها في موضعها كلمة فضلنا مثلا لأنّه لا يدل على المعنى الدقيق للكلمة.

و في الإصطلاح:

يقول الطاهر بن عاشور في بيان معناها: «و التكريم: جعله كريما أي نفيسا غير مبذول و لا ذليل...»[1]

و في تحقيق كلمات القرآن جاء:«الكرامة: عزّة و تفَوُّقٌ في نفس الشيء **و لا يلاحظ فيه استعلاء** بالنسبة إلى الغير الذي هو دونه»[2]، أي عزّة في غير تكبر و استعلاء على الغير.

وفي المعجم الفلسفي:«أطلق اصطلاح الكرامة الانسانية **على قيمة** الانسان من جهة ما هو ذو طبيعة عاقلة»[3]، أي باعتباره خص بقوة التفكير و الإدراك.

لم يختلف التعريف الاصطلاحي عن المعنى اللغوي إذ تطابق معه تماما التطابق عندما وصف الإنسان بالعزة و العظمة ونفى عنه معنى الاستذلال و الابتذال.

و عليه فالكرامة الانسانية هي تلك الصفات التي تخصُّ الانسان من حيث هو انسان ذو قيمة ذاتية تميزه و ترفع مقامه عن بقية المخلوقات الأخرى.

من ثم فإن هذه المقومات؛ فطرة الخلق،و غائية الحياة و الحرية و الكرامة،هي التي تجمع في وحدتها معاني الإنسانية كما قدّرها رب العزة الذي خلق فسوى و الذي قدر فهدى، و بها يتحقق للإنسان وجوده القاصد والفاعل في الحياة .

---

[1] –الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج 15، ص 165.

[2] –حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم،ط1، إيران : مركز نشر أثار العلامة المصطفوي، ت 1358، ج10، ص49–50

[3] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص228.

إن وعي الانسان بهذه القيمة و هذه الكمالات النفسية التي شرفه الله بها و التي لا توجد في غيره من المخلوقات الأخرى له دور أساسي في التعبئة النفسية و الروحية التي تفيض معانيها على سلوكه و طريقة تفكيره و إنجازه في الحياة. و من ثم فمن واجبه الحفاظ عليها و التمسك بها و منع أي شيء يفسد وجودها و يسلبها منه، أو يبتذلها.

ثانيا ماذا نقصد بالحفاظ على الكرامة الأنسانية:

إذا كانت الكرامة تعني العزة و الشرف و النفاسة و الرقي في الانسان، و اتصاف كل ما يتصل به بالفضل و الشرف و الرفعة فإن المقصود بحفظ الكرامة هو حماية هذه الأوصاف من انتكاستها فيصيبه الإستذلال، و الهوان و التحقير التي تجعل الانسان مستعبدا و رخيسا و ذليلا و مهينا.

لقد خلق الله الانسان بطريقة مختلفة عن باقي المخلوقات الأخرى؛ إذا كان خلقها بأمر كن ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ سورة يس82 إلا الإنسان فقد احتفى القرآن بطريقة خلقه فقال الله عز وجل:﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ71 فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ72﴾سورة ص

في هذا النص الذي يرد فيه الخطاب بخلق الانسان لا يذكر كباقي المخلوقات أن الله خلقها، و إنما يتم في شكل إعلان مهيب في حضور الملائكة و الجن يعلمهم بأنه سيخلق بشرا، و هذا الاعلان ذاته فيه تشريف و تعظيم لهذا المخلوق،إذ لم يحدث ذلك مع أي من المخلوقات الأخرى على عظمتها و جلالة خلقها.

ثم مضمون الإعلان ذاته فيه إخبار عن عظمة الخلق الإلهي و إبداعه، إذ طبيعة هذا المخلوق مغايرة لطبيعة المخلوقات الأخرى و أشرف و أعظم منها؛ فبالرغم من أن شقه المادي يشترك فيه مع أحد مكونات هذا الكون و هو طين الأرض الذي جعل إبليس يستكبر عليه، و يأبى استقباله استقبالا يليق به، إلا أن عنصره الثاني و شقه العظيم الذي به حدثت المفارقة و المغايرة و هو المفاجئة التي أبهرت الحاضرين؛ نفخة من روح الله التي بها سما و ارتقى من مادة مستحقرة إلى عنصر نفيس و مخلوق عجيب أوجب الله الترحيب بوجود و الإجلال لمقامه ﴿ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾، و التعبير بالسجود هنا له دلالته العميقة، إذ يختص فعل السجود في الأصل بنوع من أنواع العبادة التي لا تليق إلا بالله عز وجل، إلا أنه في هذا المحفل العظيم تعبير عن رفعة المقام و سمو المقيم.

هذا يعني أن الانسان محترم و سام لذاته و مكرم تكريما ذاتيا يخص إنسانيته من غير تعلق بأي شيء آخر غيرها؛ من دين أو جاه أو سلطان أو عشيرة أو علم، أو غنى أو فقر و ما شاكله،كل ذلك لا يجعل عنصرا أكرم من عنصر و لا جنسا أسمى من جنس، و لذلك نجد في ديننا و تاريخنا الإسلاميين ما يؤكد على هذه المعاني كما جاء في حديث النبيﷺ « فقال: أيُّها الناس، ألا إن ربّكم عزّ و جل واحج، ألا و إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ، و لا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، ألا قد بلّغت؟ قالوا نعم: قال ليبلغ الشاهد الغائب".

و قال:﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾البقرة83 و لم يستثني أحدا، فالله يأمر بني إسرائيل بالقول الحسن للناس أجمين، فليس لهم حق الاختيار فيمن يستحق سماع حسن الكلام من قبيحه، فكرامة الإنسان تستوجب ألاّ يسمع الكريم إلاّ ما يليق بكرامته من غير أن تتدخل شروط أخرى من حيث المبدأ،و لذلك عندما أذى أبو ذر غلامه بأن قال له يا ابن السوداء غضب النبي ﷺ لذلك غضبا شديدا و قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ »[1]، أي فيك خصال الجاهلية التي جاء الإسلام و أقبرها بقيمه و مبادئه و إنسانيته.

و الأمر الآخر الذي كرم الله به هذا الإنسان و رفع به من قدر إنسانيته أنه اختاره منذ قدّر خلقه لتكليفه بإنجاز مهّام كبرى على الأرض التي سيعيش فيها فيكون بها خليفة لله في أرضه فكان ذلك قيمة في ذاته عندما أخبر عن وظيفته في الملإ الأعلى، و قد اختصه بكل المؤهلات التي تمكنه من هذا الأداء على الوجه الأمثل فكرّمه بالعقل المفكر المدرك المبدع، و زوده بالأسماء كلها(تمكينه من تحصيل العلم و المعرفة)، و حرره لذلك من كلّ ما يعيق سعيه و حركته في الأرض فجعل له إرادة حرة تمكنه من السعي لتحقيق الأهداف و الغايات المرجوة.

إن تنفيذ هذا التكليف و تحقيق أهدافه و غاياته هو عين التكريم، لأنه و كما ذكرت سابقا لا يطمئن و لا يحى حياة طيبة و لا يعصم نفسه من الاستذلال و مهانة السؤال إلا إذا شعر بقيمة وجوده و غاية جهده، و لذلك نجد كثيرا ممن فقدوا بوصلة الأهداف التي يحيون من أجلها تكون نهايتهم مؤسفة لأن الحياة ذاتها تأبى العبثية وهو ما ثبت في قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ المؤمنون 115، و لذلك و في سبيل تحقيق غايات الحياة يتنازل الإنسان في أحيان كثيرة عن رغباته و مطالبه الخاصة في سبيل غايات و احتياجات الجماعة التي يعيش في حاضنتها حيث تصبح مصلحتها مصلحة له، و نظامها العام هدفا له لأن قيمته من قيمة الجماعة التي ينتمي إليها.

بقي في تصوري معنى آخر مهم جدا للمقصود بحفظ الكرامة و هو حفظها بعبادة الله عز وجل، و العبودية له وحده لا شريك له، و هو مضمون ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ الذاريات 56، قد يطرح السؤال ما علاقة الكرامة بالعبادة، و العبودية ذاتها استذلال للعابد تجاه معبوده؟ و هنا مربط الفرس كما يقال؛ فمن جهة حفظ نفسه من عبادة غير الله عز وجل إذ في ذلك امتهان لكرامة الإنسان التي تعزّه من أن يتذلل لغير خالقه الذي كرمه بميثاق و عهد منذ خلقه[2] فيكون بعبادته تلك متحررا من كل ما يمتهنه أو يقيد حريته و حركته في الحياة من مخلوقات هي في الأصل مساوية له في القيمة أو هو أكرم منها باعتبار أنها مسخرة له حتى يتمكن من استغلالها فيما يحقق مصالحه.

من جانب آخر فقد سبق أن ذكرنا أن الانسان مخلوق مزدوج التركيب جسد/روح، و من نفخة الروح تلك خصه الله بصفات تشبه صفات الرب عز وجل؛ من الأخلاق و العلم و القدرة و الإرادة الحرة و الكلام...إلخ و

---

[1] –محمد بن إسماعيل البخاري، المسند الصحيح،(صحيح البخاري)، رقم 30، ص15، كتاب الإيمان، باب المعاصي من الجاهلية و لا يكفر صاحبا إلا بالشرك

[2] – الظلال، 2241.

حتى تمارس دورها في سوق الانسان إلى الفضائل و تحفظ كمالاته التي تليق به فلا بد من تنميتها و تنمية الجانب الروحي فيه بشكل عام حتى تحفظ إنسانيته و كرامته من سلبها عنه من غيره أو من السقوط في دركات الحيوانية إذا ما طوقته الملذات و الصغائر التي تجذبه إلى الأِض و ليس هناك غير العبادة التي تربط الانسان بربه عزّ وجل تغذي روحه و تهذب من متطلبات المادية الفطرية فتجعل منه بقدر ما يخضع و يتذلل لمربيه الرب الأعظم بقدر ما يرتفع و يسمو و ينجذب نحو المتعالي لأنها تذكره دائما بمقامه عند الله و عند نفسه، تذكره بواجباته تجاه الله و تجاه نفسه و تجاه الكون الذي يعيش فيه؛ إنها تجعله ليس فقط يدرك قيمته عند الله بل يحس و يشعر بوجوده و قربه و حفظه له، و لفعله الذي هو غايته، و هو ما يعظم اعتزازه بكرامته و نفاسته فتأبى فطرته كل ما يمس بها أو ينتهك حرمتها.

إن وعي الانسان بهذه المعان العميقة لحقيقة الكرامة الإنسانية يقتضي منه الحفاظ على هذه المكاسب الكبيرة، لأنها وحدها تشكّل الانسان المتوازن السوي الذي تجتمع فيه الفضائل و الكمالات المشّكلة لإنسانيته، و هي التي تحفظ وجوده كعضو أصيل و فاعل في أحضان الإنسانية المكرمة.

ثالثا: أهمية اعتبار الكرامة الانسانية مقصدا من مقاصد الشريعة الإسلامية: لاعتبار الكرامة الانسانية مقصدا من مقاصد الشريعة الإسلامية أهمية كبيرة في تصوري و ذلك للاعتبارات الآتية:

أولا: من الناحية النفسية: و الوجدانية له أهميته الكبرى إذ يعتبر مصدر قوة نفسية [1]كبيرة يجدها الإنسان في نفسه عندما يتلقى ذلك الإخبار العظيم﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ﴿ فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ ﴾، و يردد كل حين و هو يقرأ القرآن ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ فتمتلء نفسه عزّأ و قوة و كرامة لأن الله جلت حكمته هو من مَنَّ عليه بذلك و لا مزيّة لأي كان عليه، و لأجل ذلك تجعلت الشريعة ذاتها المنزلة من عند الله عز وجل كرامة الانسان غاية معتبرة فشرّعت الأحكام و الأوامر و النواهي لحفظها و صونها من الإمتهان و الانتهاك.

ثانيا: من ناحية المعرفية: يمكن تحديد أهميته في نقطتين اثنتين

الأولى إن أهمية أن يكون حفظ الكرامة مقصدا من مقاصد الشريعة الاسلامية هو يكسبها نوعا من القداسة و التعظيم، لأن الشريعة وحي إلهي و تضمُّن هذا الوحي على هكذا مقصد فيه دلالة على مكانة الإنسان عند الله عز وجل كإنسان و بالتالي يتضاعف الشعور بحرمته و حرمة دمه و مشاعره و روحه وكل وجدانه ,,,و بالتالي يصير الالتزام من الانسان ذاته بحفظ هذه الكرامة مقدسا فيصون نفسه عن كل القبائح و مساوئ الأخلاق اللذين تجلبان له المهانة، و كذلك وقوف الآخر عند هذه الحدود لا يتخطهاها يصير أَلْزما، و ما هذا الانتهاك لحرمة الانسان و سفك دمه الذي تعاني منه الإنسانية جراء الحروب و المجاعات و الإبادة الجماعية إلاّ دليل على أهمية حصول المعرفة و إدراك هذه الحقيقة من طرف الانسان ذاته.

الثانية: من جهة العلماء إذ يعد تحدد الكرامة مقصدا من مقاصد الشريعة ذو أهمية بالغة إذ يوجه جهودهم إلى استنباط أحكام و سن قوانين تنبثق من هذا المقصد يكون لها دورا في تحديد المشترك الانساني بين البشر الذي

[1] - أنظر عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 99

يؤسس لقاعدة اتفاق بين الناس جميعا في النظر إلى القضايا المتعلقة بهذا الإنسان و النوازل المستجدة التي تقتضي الاجتهاد لوجود حلول لها أو أحكام تتناسب مع حق الانسان في الوجود و العيش الكريم و الآمن، و ربما من أهم قضايا الساعة التي تنتظر من العلماء النظر فيها مسألة الذكاء الاصطناعي إذ في ظل هذه الثورة العلمية الكبيرة يجد الانسان نفسه في طريق أن يُستبدل إذ أصبح الإنسان الآلي مستغن عن الانسان البشر المفكر المبدع، أو تطوير الانسان إلى ما بعد الانسان.

كذلك إنقسام البشرية إلى قسمين : قسم الأغنياء الأثرياء الذين يتمكنون من استحداث قدراتهم و قسم آخر من البشر العاديين الذين لا يتمكنون من هذه التقنيات فيحدث الفارق بين البشر

كذلك قضية الانسان نصف رجل و نص امرأة الذي أصبح جنس نصفه يحب مثلا جنس نصفه الآخر و يعشقك كل نصف نصفه و يتزوج النصف من نصفه الآخر... كانت سابقا قضية المخنثين و متعلقاتها لكنها تطور الآن تطورات خطير تقضي على قيمة النوع البشري و تعصف بسنة الزوجية التي قدرها الله في هذا الانسان و يمتد الأمر إلىما هو أخطر و هو تحلل الأسرة و اختفاءها و استبدالها بالشذوذ الجنسي و انقراض الجنس البشري، و ابتذال كرامة الانسان الذي ترك الزواج من امرأة و ذهب يتزوج نفسه أو آلته.

رابعا الإجراءات العلملية للحفاظ على كرامة الانسان: لم يترك الاسلام مسألة الكرامة الانسانية مجرد نظرية ليس لها تدابير عملية لحفظها، بل وضع لها إجراءات عملية تصونها من الإبتذل و الاعتداء عليها منها ما يتعلق بالانسان ذاته، و منها ما تعلق بالعلاقة الطيبة مع إخوانه في مجتمع واحد أو مع الانسان و أخيه الإنسان بشكل عام في حلات السلم و في حلات الحرب على الشكل الذي سأوضحه في ما يأتي[1]:

أولا: فيما يتعلق بالانسان ذاته: الوعي و العمل عنصران أساسيان لحفظ كرامة الانسان؛ **فالوعي** بأنه مخلوق مكرم و أن هذه الكرامة هي منّة إلهية خصه الله بها دون سائر المخلوقات، و أنه واجب عليه صيانة هذه الكرامة و حفظها من أن يمسّها شيءسواء كان إمتهانا ماديا أو خدشا معنويا هو أهم الإجراءات العملية جميعا لأنه بهذا الوعي يكتسب مناعة ذاتية ضد أي إساءة ممكن أن تلحقه لأنه بذلك يكون جاهزا للدفاع عن كرامته و الاستماتة لحفظها و وقايتها مما يهددها، و خير مثال حي على ذلك الصمود الأسطوري لأخواننا فيغزة الذين انتهك الكيان الصهيوني حرماتهم و عاث في أرضهم فسادا و إبادة لم يشهدها التاريخ من قبل، فلم يجعلهم قسوة ذلك العدوان يتنازلون عن كرامتهم و حقهم في استرداد حريتهم للعيش الكريم في أرضهم .

و أما العمل: فإنه كرامة الانسان المادية فإذا أن الله خلقه كما سبق الذكر للخلافة و تعمير الأرض فذلك يعني أن تحقيق ذلك فيه حفظ لكرامة الإنسان من الإستذلال و التحقير لأن العمل هو الإجراء العملي الأهم الذي يعز الإنسان و يرفع قدر و يعز مجتمعه، و هو الذي يحقق له الحياة الكريمة و يصونه من العبثية و اللاجدوى من وجوده

[1] - أنظر عبد المجيد النجار و علال الفاسي، المرجعين السابقين

و لذلك نجد أن من أهم الأسئلة الفلسفية الكبرى التي يسألها الإنسان لماذا هو موجود في هذه الحياة؟ فأجاب الإسلام عن ذلك و لم يتركه يتيه في البحث وحده حيث بدقة عن ذلك أنه خلق ليعبد الله و يعمل في هذه الحياة ليحقق لنفسه العيش الكريم فيها، فالوعي بهذه الحقيقة يجعل الإنسان يدرك ما الذي عليه فعله حتى يحفظ كرامته و يكرم إنسانيته، و لذلك فأكثر ما يكسر الانسان و يحط من كرامته أن يعيش في هذه الحياة عالة على غيره لا يضيف إلي الحياة شيئا من بصمته الإنسانية.

ثانيا: تشريع الأحكام المختلفة: قبل تشريع أي حكم فإن أول ما جاءت به الشريعة الإسلامية السمحة هو التسوية بين الناس جميعا لا فرق بينهم إلا بالتقوى و العمل الصالح و هو ما أشرت إليه قبل في حديث النبي ﷺ: " لا فضل لعربي على اعجمي ..." فأسست قاعدة أن الناس مهما اختلفوا في ألوانهم و ألسنتهم و جنسياتهم فإنهم من أب واحد و أم واحدة و هو ما يوحد بينهم و يجمع اختلافاتهم المتعددة في إنسانيتهم الواحدة، و أن ذلك الاختلاف ليس تفاضلا بينهم و إنما هو من آيات الله العظيمة الدالة على قدرته و بديع صنعه ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾الروم22 .

ثم يأتي بعد ذلك تشريع الأحكام المختلفة الذي يعد من الإجراءات العملية الهامة لحفظ الكرامة الإنسانية، إذ إن في أحيان كثير يتعرض الانسان إلى الإساءة و الانتقاص من قدره بأساليب مختلفة قولية أو فعلية، مباشرة أو تعريضا و هو ما يجرحه إن لم يكن جسديا فعاطفيا و معنويا، لذلك و قطعا لهذا الطريق الذي يؤذى فيه الانسان جاءت الشريعة بأحكام ردعية لمثل هذه الأفعال، و عقوبات صارمة لوضع حد للتمادي في ذلك.

1/ فقد نهى الله عز وجل في كتابه العزيز عن السخرية من الناس ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الحجرات11 ففي الآية ثلاثة أحكام نهى فيها الله عز وجل عن ثلاث أفعال مشينة نهيا تحريميا؛ عن السخرية و هي كما يقول الرازي" أن لا ينظر الإنسان إلى أخيه بعين الإجلال و لا يلتفت إليه و يسقطه عن درجته..." فغلّظ النهي حدّ التحريم للاستهزاء بالناس و تحقيرهم و استصغارهم مهما كان وضعهم، وعن ذكر عيوبهم بالهمز و اللمز[1] لما في ذلك من استنقاص من أقدراهم و خدش لكرامتهم التي جعلها الله لهم عزا بالسواء.و جعل الله ذلك ذنبا يتاب منه حتى يدرك الفاعل شناعة ما فعل و عظمه عند الله عز وجل فينتهي أو يتوب إن فعل، و في بعض القصص التي يذكرها التاريخ عبرة؛ كانَ عَمْرُو بنُ العاصِ أميرًا على مصرَ، مِنْ قِبَلِ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنهما، وذاتَ يومٍ أَجْرَى عمرُو بنُ العاصِ سِباقًا للخيلِ، فلما سَبقتْ فرسُ أحدِ المِصْريّينَ فرسَ مُحَمَّدِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ غضبَ محمّدٌ وضربَ المصريَّ بالسّوطِ وقالَ:"خذها وأنا ابنُ الأكرمينَ!"، فجاءَ المصريُّ إلى المدينةِ فشكا محمّدًا إلى عُمَرَ بنِ الخطّابِ، فبعثَ إلى عمرِو

[1] – اللمز و هو ذكر ما في الرجل من عب في غيبته،

بنِ العاصِ أنْ يَقدُمَ هو وابنُه محمّدٌ إلى المدينةِ، فلمّا حضرا قالَ عُمَرُ للمصريّ :"دونك الدِّرَّةَ فاضربْ بها ابنَ الأكرمينَ! اضربْ ابنَ الأكرمينَ!"، فضربَه المصريُّ، ثمَّ قالَ لعمرٍو:" أيا عمرُو، متى استعبدتمُ النّاسَ وقدْ ولدتْهم أمّهاتُهم أحرارًا؟". فلا الأنساب و لا المركز الاجتماعي و لا الولاية تعلو على حفظ كرامة الانسان.

2- و لذلك في حالة الاعتداء على النفس التي كرمها الله ﷻبالقتل بغير وجه حق فالله عز وجل يقول كأنّ قتلها هو قتل للناس جميعا و إحياؤها كأنما إحياء الناس جميعا ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ المائدة 32. يقول سيد قطب في توضيح معانيها: «إن قتل نفس واحدة -في غير قصاص لقتل، و في غير دفع فساد في الأرض- يعدل قتل الناس جميعا، لأن كل نفس ككل نفس؛ و حق الحياة واحد ثابت لكل نفس. فقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على حق الحياة ذاته، الحق الذي تشترك فيه كل النفوس. كذلك دفع القتل عن نفس، و استحياؤها بهذا -سواء كان بالدفاع عنها في حالة حياتها أو بالقصاص لها في حالة الاعتداء عليها لمنع وقوع القتل على نفس أخرى- هو استحياء للنفوس جميعا، لأنه صيانة لحق الحياة الذي تشترك فيه النفوس جميعا.» [1]، و هكذا كلا القتلين المادي أو المعنوي دفعته الشريعة الإسلامية لأجل ينعم الانسان بحق الحياة الكريمة.

3- و لم تتوقف الأحكام التي تنهى عن السخرية و التجسس و الظن السيء و الغيبة و النميمة و الانتقاص من كرامة الناس، بل صعّدت الأحكام و حرم **القذف**؛ قذف المحصنات و شرعت عقوبة الجلد 80 جلدة إذا لم تكن تلك الدعوى ترافقها شهادة الشهود الذي عاينوا حدوث الفاحشة و جعلتهم أربعة شهود حرصا على صيانة كرامة المرأة و حماية عفتها بغير دليل ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ سورة النور 4، و ليس الجلد فقط بل تسقط شهادتهم فلا تقبل بعد، نعتهم بالفسق لفعلتهم هذه حتى يحفظ كرامة المرأة من جهة كما قلنا، و حتى يحمي المجتمع من تفشي هذه الظواهر المسقطة لفضله.

4- كذلك حرمت الشريعة الإسلامية **الإجهاض** لما فيه من إهدار حق الحياة للجنين، باعتباره نفس محترمة و مكرمة، و جعلت الأبوين يتحملان مسؤولية ذلك الجنين، حتى في الأجنة الناتجة عن علاقات محرمة منعت الأم من الإجهاض، و إضافة إلى ذلك فإن تطبيق الحد يؤجل حتى تلد و ترضع الوليد ليأخذ حقه كاملا من الغذاء الطبيعي في هذه الفترة قال ﷺ ... «قال فجاءت الغامدية فقالت يار سول الله إني قد زنيت فطهرني،و إنه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردّني لعلّك أن تردني كما رددت ماعزا فوالله إني لحبلى، قال إما لا فاذهبي حتّى تلدي فلما ولدت أتته بالصبيّ في خرقة قالت هذا قد ولدته قال اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبي في

[1] - سيد قطب في ظلال القرآن،ط1، القاهرة /بيروت: دار الشروق، 1972م، ص877-878.

يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبيّ الله قد فطمته و قد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفرت لها إلى صدرها و أمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدَّم على وجه خالد فسبّها فسمع نبي الله ﷺ سُبه إيّاها فقال مهلا يا خالد فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مَكْسٍ[1] لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها و دفنت» [2]، و تفصيل هذه المسألة في كتب الفقه و الحديث و ليس هذا موضعه.

ثالثا: **التكافل الاجتماعي**،: يعرف التكافل الإجتماعي بأنه في «معناه اللفظي أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، و أن يكون كُلُّ قادر أو ذي سلطان كفيلا في مجتمعه يمده بالخير، و أن تكون كل القوى الانسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد، و دفع الأضرار، ثم في المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي و إقامته على أسس سليمة »[3]. فالتكافل هو إعالة الناس بعضهم بعض و سد الخلة التي بينهم حتى لكأن الخير الذي في أفراده خير عمييم لجميعهم . و التكافل في أساسه مبنى على أساس العلاقات الاجتماعية، و لكن ماعلاقته بالكرامة؟

طبعا خلق الله الناس و فاضل بينهم في العطاء فمنهم من كان قدره الغنى و منهم من كان فقيرا، منهم القوي و منهم الضعيف، منهم العالم و منهم غير العالم ...الخ، هذه الثنائيات فيها تفاوت قد يخرم في ظاهره توازن المجتمع و يمتهن الضعفاء من الناس بسبب فاقتهم و عجزهم، و ذلك سبب خطير لوجود طبقة من الناس الكرام ، الأعزاء، الشرفاء بسبب ما فضلوا به من خيرات، و توجد بالمقابل طبقة ثانية من الناس يستبدّ بهم الضعف و العجز و المذلة بسبب وضعهم الذي قدّره الله عليهم، و هذا يتنافى مع كرامة الانسان التي خصه الله بها من حيث هو إنسان بغض النظر عن المعطيات التي تتدخل في تحديد وضعه الاجتماعي، من هنا تنبثق العلاقة بين التكافل الإجتماعي و الانساني و بين الكرامة الانسانية إذ إن الله عز وجل الذي اقتضت حكمته وجود ذلك التفاضل بين الناس في الأرزاق على اختلاف أنواعها، اقتضت أن يشرع لهم مابه تحفظ كرامة الفقراء و العجزة و المرضى و الجاهلين و الضعفاء ...الخ فكان أن جعل التكافل الذي هو من خصوصيات المؤسسة الاجتماعية تُسدّ به خلة المجتمع و تحفظ به كرامة الضعفاء منهم بكفالة أغنيائهم فقرائهم و أقويائهم ضعفائهم و علمائهم جهالهم و هكذا...فيصبح ذلك الفقر على سبيل المثال غير مُهين لأصاحبه لأن الأغنياء الذين فرضت عليه الزكوات و الصدقة سيسدون حاجة ذلك الفقير بالقدر الذي يحفظ كرامته و يغنيه عن السؤال و المذلة و قد أشار إلى ذلك مالك بن نبي رحمه الله في

---

[1] – المكس: هو أخذ أموال الناس بغير حق و صرفها في غير وجهها.

[2] – أنظر حديث الغامدية،" مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح النووي، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر، 1349هـ/م، ص202-203.

[3] – محمد أبو زهرة، التكافل الاجتماعي في الاسلام، [دط]، (القاهرة: دار الفكر العربي، [دت])، ص 9.

شروط النهضة عندما تحدث على ذلك الطفل ذي الأسمال البالية حين قال أنه ليس عيبا أن يكون الطفل فقيرا، و لكن العيب أن تدفن نفسه في تلك الثياب التي حيكت من قذورات و علاج هذه الحالة هو أن نأخذ الصبي إلى الحمام ليغتسل و نعلمه كيف ينظف ثيابه و نقص شعره و نعلمه كيف لا يطأطئ رأس«فبهذا لا يظل كومة متحركة من الأوساخ، بل يصبح طفلا فقيرا يسعى لقوته، نجد فيه صورة للفقر لا للقبح و المهانة» [1] .

كذلك رعاية كبار السن الذين فعل الزمان فيهم فعلته، و العاجزين لمرض أو يتم أو أي عاهة من العاهات، فالشريعة حفظا لكرامتهم تمنع أن يترك هؤلاء هملا بدون رعاية، بل توجب على الأقارب الأقرب فالأقرب كفالتهم و رعايتهم و احترامهم، فإن لم يوجد فالدولة تتكفل بهم و تخصص لهم ما يحفظ كرمتهم عن السؤال و يمكنّهم من العيش الكريم، و يشتد الأمر عندما يكونا أبوين: قال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ سورة البقرة 83، فإذا كان الأقارب لهم هذا الحق فإن الأحق بذلك على الإطلاق هم الوالدين، لأنهما بعد الله عز وجل سبب وجود الانسان في هذه الحياة.

في الحروب غالبا ما يقتل الانسان و يهلك الحرث و يعم فساد كبير و تهدر كرامة الانسان و يهان و يجوع ...الخ ، لذلك وضع النبيﷺ مبادئ تحكم مسار الحروب تُحفظ فيها الكرامات، و تصان الأعراض، و يحترم الإنسان ما لم يكن محاربا، «فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ كان إذا بعث جيشا و في رواية جيوشه قال: اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا و لا تمثلوا و تغلوا و لا تقتلوا الولدان و لا أصحاب الصوامع» [2]

و كذلك فعل أبو بكر عند بعث يزيد بن أبي سفيان إلى الشام غازيا أوصاه قائلا: «لا تقتلوا صبيا و لا امرأة و لا شيخا كبيرا و لا مريضا و لا راهبا و لا تقطعوا مثمرا و لا تخربوا عامرا و لا تذبحوا بعيرا و لا بقرة إلا لمأكل و لا تغرقوا نخلا و لا تحرقوه».[3] فالشيخ الكبير و الصبي الصغير، و المرأة و المريض و الراهب في صومعته كل هؤلاء يوصي الرسول بعدم التعرض لهم احتراما لعجزهم عن الدفاع عن أنفسهم ، و احتراما لحقهم في الحياة، و ليس هذا فقط بل يوصي بأن الذين قتلوا في الحرب **لا يجوز التمثيل** بجثتهم احتراما لإنسانيتهم ، كما أوصى بعدم تخريب ممتلكات الناس من شجر مثمر إغراقا أو حرقا و لا التعرض لذبح الحيوان إلا لحاجة الطعام، و هذه الأخلاق التي سنها النبي عليه السلام و أصحابه من بعده في الحرب هي أخلاق إنسانية تحكم إنسانها في حالاته كلها في السلم

---

[1] – مالك بن نبي شروط النهضة،تر: عبد الصبور شاهين و عمر مسقاوي، دمشق: دار الفكر، ص93

[2] – أحمد بن الحسين البيهقي،السنن الكبرى،ط2، تح: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/ 2003 م،ج9، ص154. رقم 18154

[3] – أحمد بن الحسين البهقي، المرجع نفسه، ج9، ص153/ رقم 18152

و الحرب، منهج واحد لا تناقض فيه و لا تضارب بين مبادئه، يقول النجار«و قد اطّردت الأحكام بذلك إطرادا يورّث للناظر في الشريعة يقينا بأن حفظ الكرامة الإنسانية مقصد قطعيّ من مقاصد الشريعة الإسلامية» [1]، و كما يقال بضدها تتضح الأشياء ؛ إن نظرة في واقع الحرب في غزة كمثال حي على إبادة ليس الإنسان و حسب بل إبادة كرامة الإنسان و استذلاله بكل ما تعنيه كلة الاستذلال من معنى: فخلال سنة قتل ما يقارب 40000 شخص، من بينهم ما يقارب 70% إمرأةو طفلا ، 9000شجرة زيتون اقتلعت، بيوتهم هدمت، ممتلكاتهم فقدت، أراضيهم جرفت(طولكرم) ، خيامهم التي نزحوا إليها أبيدت بمن فيها.

الخاتمة:

إن ما يمكن استنتاجه من العرض السابق لمقصد حفظ كرامة الانسان في الشريعة الإسلامية هو:

– ارتبطت الكرامة الانسانية في الشريعة الإسلامية بوجود الانسان و اكتسبت قيمتها من قيمته ذاته بكل مقوماته التي كرمه الله بها، و لم تنته عند مرحلة الخلق بل استمرت معه حتى موته و بعد موته. «اذكروا محاس موتاكم»

– إن الكرامة الإنسانية منّة خص الله بها الانسان، و حفظها عليه من جهة ما هو إنسان بغض النظر عن متعلقاته الأخرى كالدين و العرق و اللون و الجنس...الخ و أكّد ثبوتها بنصوص ثابتة، تحقق للإنسان الأمن و الإطمئنان، و تكفل له حق الحياة و العيش الآمن على هذه الأرض.

– إن الغاية من حفظ كرامة الانسان كما يفهم من نصوص الوحي هو الحفاظ على قوة نفسه و سمو روحه لأن فاعلية قواه كلها مستمدة من هذه الشعور بالعزة و القيمة و الرفعة على كل موجودات هذا العالم.

– وضعت الشريعة الإسلامية أحكام جمةّ تأرجحت بين الأمر و النهي لتجعل من حفظ الكرامة أمرا واقعيا و عمليا قابلا للتنفيذ، بعيدا عن التنظير التجريدي و بعيدا عن الأهواء وتنظيرات العقل البشري المحض المحدود بحدود الزمان و المكان و الظروف، فضبطت السلوكات و نظمت العلاقات التي تحفظ للإنسان وجوده المعنوي داخل مجتمعه الانساني.

– إن القضايا المستجدة التي تهدد في جانب منها وجود الانسان تؤكد أهمية حفظ الكرامة كمقصد شرعي معتبر له قيمته في استخراج و استنباط الأحكام و سن القوانين التي تحمي حق الانسان في وجود البشري و تحمي خصوصيته و أمنه.

[1] – عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 100

المراجع:

- إبراهيم بن منظور، لسان العرب، القاهرة : دار المعارف
- أحمد بن الحسين البيهقي،السنن الكبرى،ط2، تح: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/ 2003 م
- أحمد بن فارس ،معجم مقاييس اللغة ط1، تح: عبد السلام هارون، لبنان: دار الجيل
- أيوب بن موسى ، الكليات، تح: دعدنان درويش و محمد المصري،ط2،بيروت: مؤسسة الرساالة، 1419هـ/1998م
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م
- حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم،ط1، إيران : مركز نشر أثار العلامة المصطفوي، ت 1358
- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة.
- سيد قطب في ظلال القرآن،ط1، القاهرة /بيروت: دار الشروق، 1972م
- الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.
- الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تق: حاتم بوسمة، مصر / لبنان :دار الكتاب المصري / اللبناني، م2011.
- عبد المجيد النجار مقاصد الشريعة الإسلامية بأبعاد جددة،ط 2، دار الغرب الإسلامي، 2008م.
- علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية و مكارمها، ط5، دار الغرب الإسلامي، 1993م.
- مالك بن نبي شروط النهضة،تر: عبد الصبور شاهين و عمر مسقاوي، دمشق: دار الفكر، ص93
- محمد أبو زهرة، التكافل الاجتماعي في الاسلام، دط، القاهرة: دار الفكر العربي، دت.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، ط4، مصر: مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ/2004م.
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح النووي، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر، 1349هـ.

- La Dingnité Humaine, La réinsertion socio juridique des démunis.